عين المدينة

نبنيــها معاً

في المدينة...
- انتصارات الثوار في دير الزور ص3
- مطعم حلبي في عنتاب ص5
- شلل الأطفال ص6-7
- حفار القبور الشجاع ص9
- طفلٌ مشرّدٌ في زمن الحرب ص11
- مهنٌ جديدة للنازحات ص14
- جامع جامع.. مات ص16
- الصحافة في عهد الأسد ص17

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

عين المدينة | العدد (15) | 1 تشرين الثاني 2013

مجلة نصف شهرية مستقلة

عدسة عمر - دير الزور

شلل الأطفال.. من المسؤول؟

بحسب ما روى طبيبٌ ميدانيٌّ اجتمع مع وفدٍ رفيع المستوى من إحدى المنظمات الصحيّة العالمية الكبرى، لتدارس موضوع عودة مرض شلل الأطفال إلى بعض مناطق دير الزور؛ أبدى رئيس الوفد الأجنبيّ التعاطف والتفهم اللازمين، لكنه أبلغ زملاءه السوريّين بالحقيقة المؤسفة التي قالت إن المنظّمات الدوليّة لا تستطيع تقديم اللقاحات، أو أيّ نوع من أنواع الدعم الطبي، إلا للنظام الذي ما زال يحتلّ مقعد البلاد في الأمم المتحدة وسواها من الهيئات الدوليّة، لأن أنظمتها لا تسمح بالتعاطي مع جهاتٍ أو جماعاتٍ خارج الأنظمة السياسيّة التي ما زالت تحظى باعتراف العالم، ولو شكلياً.

تحيل هذه الحقيقة على أمرين؛ أولهما هو أن مسؤولية من يعيق تشكيل الثورة لمؤسساتها، ولا سيما اجتماعها في جسمٍ سياسيٍّ موحّد، وتشكيل حكومةٍ تنال اعترافاً دولياً؛ باتت تتعدّى الشأن السياسيّ إلى شؤون إنسانيّة وخدميّة عديدة، على أهميّة الشأن السياسيّ بالطبع، ومركزيته في حشد الرأي العام الدوليّ الصديق لسورية وثورتها المباركة.

أما الأمر الثاني فهو وجوب إعادة النظر بالفعل في أنظمة بعض المؤسّسات الدوليّة التي أنشئت في عهد الحرب الباردة، وجعلها أكثر مرونة وتفهّماً لعالم أكثر تعقيداً من بيروقراطيّة التمثيل وحيازة ختم المختار. وقد واجهنا هذه المعضلة سياسيّاً كلما أشهرت روسيا الفيتو الذي ورثته من تركة الاتحاد السوفياتي البائد، ومكّنها من انتحال صفة الدولة العظمى دون وجه حقّ، وها نحن نواجهها في مستقبل أطفالنا المهدّدين بكارثة!

مصير طاغية الشام على الخطّ الساخن بين الأمريكان والروس

الائتلاف يصمّم على نسف النظام.. والأسد يواصل انبطاحه الكيماوي

هيئة التحرير

يواصل الموفد الدولي الأخضر الإبراهيمي استفزازه للسوريين وللمعارضة السياسية، بعد قيامه بجملةٍ من التحركات والتصريحات التي تلمّع بشار الأسد وتجعل منه شريكاً (متعاوناً) و(مهماً) في مفاوضات مؤتمر جنيف2، الذي تخيّم الأجواء الضبابية على حقيقة انعقاده. ففي ختام زيارته لدمشق، رفض الإبراهيمي تكهناتٍ بإرجاء جنيف2 حتى العام المقبل، لكنه ألقى بظلالٍ من الشكّ حول المؤتمر برمته، قائلاً إنه لن يُعقد إذا لم تشارك فيه المعارضة السورية. وواجه الإبراهيمي احتجاجاتٍ شديدة اللهجة من قبل بعض أعضاء الائتلاف حول تصريحاته "المنحازة" للأسد، وقالت المعارضة إنه "تجاوز حدود المسؤولية التي أنيطت به"، ورأى عضو المجلس الوطني السوري والائتلاف المعارض هشام مروة في تصريحات الإبراهيمي ابتعاداً عن الحياد "لأنه حين يمدح طرفاً ما فإنه يسيء إلى الطرف الثاني". ولفت إلى أن هذه التصريحات "استكمالٌ للمكافآت التي تقدّم للنظام السوري بعد تسليمه السلاح الكيماوي"، كما طالب المجلس الوطني السوري المعارض جامعة الدول العربية بإعفائه من مهمته على خلفية "إصراره على إشراك إيران في المؤتمر.

ويرفض الائتلاف السوري المعارض المشاركة في جنيف2، ما لم يتلقّ تأكيداتٍ حول نتائجه التي يجب أن تتضمّن إنهاء حكم بشار الأسد وتسليم السلطة إلى حكومة انتقالية. في حين لم تتمكن القوى الكردية المعارضة في سوريا من توحيد موقفها بشأن المشاركة في المؤتمر، إذ يستعدّ حزب «الاتحاد الديمقراطي الكردي» (بي واي دي)، الموالي لحزب العمال الكردستاني، للمشاركة في المؤتمر في إطار وفد «هيئة التنسيق الوطنية» التي ينضوي تحت لوائها، فيما يؤكد «المجلس الوطني الكردي» التزامه بالقرار الذي سيتخذه «الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية»، باعتباره جزءاً منه.

وما تزال روسيا تساند "طاغية الشام" في لعبة شدّ الحبل مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي بدأت مواقفها المناهضة لبقاء بشار الأسد في السلطة تتضاءل وتتقلّص، لحساب أفراحها الديبلوماسية تجاه تطبيق الأسد نزع سلاحه الكيماوي بشكلٍ "جديّ ومذهل". وكان رئيس الوزراء الروسي، ديمتري ميدفيديف، ألمح إلى إمكان إيجاد صيغة "تطمئن" الأسد إلى أنه لن يواجه مصيراً مماثلاً لما حلّ بالرئيس المصري السابق حسني مبارك أو العقيد الليبي الراحل معمر القذافي، في حين واصلت واشنطن تجاهلها لحتمية تنحي الأسد لإنجاح مؤتمر جنيف2، وللوعود التي قطعتها بتزويد الثوار بأسلحةٍ نوعيّة.

في هذا الإطار، عادت واشنطن للظهور إلى الواجهة، بعد انشغالها بنزع الكيماوي، لتبحث مع الروس موضوع خلافة بشار الأسد في الحكومة السورية الجديدة. فمنذ أيام عرض السفير الأميركي لدى سوريا، روبرت فورد، في جلسة استماع ساخنةٍ أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، استراتيجية الإدارة، مؤكّداً أن التركيز هو على العمل باتجاه جنيف2، وأن روسيا والولايات المتحدة «تبحثان بمن سيحلّ مكان الأسد في الحكومة السورية الجديدة»، وأن هذا الملفّ سيكون حاضراً في مفاوضات جنيف2. ولكن انتقادات الكونغرس ما زالت تمارس ضغوطاً على باراك أوباما، فقد وصف السناتور جون ماكين سياسة أوباما حيال سورية بأنها "صفحة عار في التاريخ الأميركي"، واعتبر أن ما من أحدٍ في المعارضة التي تقاتل على الأرض «سيقبل بحلٍ يُبقي الأسد» في الحكم.

ومع ظهور خلافاتٍ بين واشنطن وموسكو على تمثيل المعارضة، وهي نقطة اشتدّ الخلاف عليها أيضاً في اجتماع مجموعة "أصدقاء الشعب السوري" في لندن الشهر الماضي، بين الدول الغربية والعربيّة المعارضة للأسد، خلص المجتمعون إلى أن محادثات جنيف يجب أن تكون بين وفدٍ واحدٍ للنظام السوري، ووفدٍ واحدٍ للمعارضة ينبغي أن تكون القيادة فيه للائتلاف الوطني، باعتباره الممثل الشرعي للشعب السوري. إلا أن روسيا تعود لتقف عائقاً باعتبارها الائتلاف مجرّد جزءٍ من المعارضة، ولذا اقترحت أن تمثل المعارضة بوفودٍ عدّة، بمن في ذلك شخصياتٌ مقيمةٌ في دمشق تقبل بها الحكومة.

لعبة الكيماوي

ويراوغ نظام الأسد في ملفه الكيماوي، إذ أعلنت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية أن "الوضع الأمني الصعب في سوريا منع مفتشي المنظمة من زيارة اثنين من المواقع". وكانت المنظمة أعلنت أن النظام السوري قدّم تقريراً أولياً حول تدمير ترسانته الكيميائية، حسب الموعد المتفق عليه، وقال إن كافة منشآت إنتاج الأسلحة الكيماوية في سوريا أصبحت غير قابلة للاستعمال قبل المهلة المحددة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر.

انتصارات الثوّار في دير الزور وهزائمهم في حلب

هيئة التحرير

دير الزور | عدسة أحمد | خاص عين المدينة

حقّق مقاتلو دير الزور بفصائلهم المختلفة نصراً كبيراً على قوات الأسد، من خلال تقدّمهم في حيّ الرشديّة المجاور للمربع الأمني. فبعد معارك عنيفة جداً خاضتها الكتائب الإسلامية في هذا القطاع الصعب، تراجعت قوات الأسد إلى أطراف الحيّ الغربية، لتسقط بذلك كلية الآداب ومعظم أبراج حيّ الرشديّة المطلّة على الفرع الصغير لنهر الفرات. وفي سياق متصل حمل مقتل قائد المخابرات العسكرية بدير الزور، اللواء جامع جامع، دلالاتٍ بالغة الأهمية من حيث اختفاء هذه الشخصية الإجرامية الكبرى عن ساحة الحرب في دير الزور، مما يعطي دفعاً معنوياً كبيراً سيكون له أثرٌ في ميزان الصراع مع قوات الأسد. ولم تحمل الأيام الماضية تغيراتٍ كبيرة في أوضاع جبهات دير الزور المختلفة، باستثناء محاولة النظام التقدّم في قطاع الجفرة بمحيط مطار دير الزور العسكري، ودون أن تنجح هذه المحاولة.

هزائم في حلب

وحملت أنباء الشمال أخباراً سيئةً تمثلت أولاً بسقوط خناصر، التي تمثل مركزاً استراتيجياً في طريق الإمداد البري إلى معاقل النظام الكبرى في حلب، إذ تمكنت قوات الأسد من السيطرة على خناصر وأمّنت الطريق الرئيسي والطريق الفرعي الموازي له. وفي موقعٍ قريبٍ مُني الثوار بهزيمةٍ أخرى هي سقوط مدينة السفيرة جنوب حلب، مما جعل جميع الكتائب والتشكيلات المقاتلة، وخاصة في الريف الشرقي، في حالة تعبئةٍ كبرى لإعادة تحرير هذه المدينة المهمة.

واستمرّت حرب الحواجز في ريف حماه، حيث تقدم الثوار في مناطق مختلفة وسيطروا على عددٍ من الحواجز مثل حاجز الجملة وحاجز اللحايا وحاجز الجسر الواقع بين حلفايا وطيبة الإمام، وألحقوا خسائر بالغة بقوات النظام في العتاد والأرواح.

وفي محافظة حمص استطاع النظام إعادة احتلال مدينة السخنة بعد معارك عنيفة جداً، تمثلت بصدّ الأرتال العسكرية المتجهة من تدمر إلى السخنة. واستمرّت الهجمات التي يشنّها الثوار على مواقع مختلفة في ريف حمص الشرقي مثل (صدد . حوارين . الحدث . مهين).

ريف دمشق الصامد

واصل مقاتلو الحرّ في كلٍّ من المعضّميّة ومنطقة جنوب دمشق المحاصرة صمودهم في وجه محاولات النظام المتلاحقة لاقتحام كلٍّ من المنطقتين، فقد تمكّن الثوار من صدّ محاولات النظام المستميتة لدخول المنطقة الجنوبية من محور القدم عسالي . الست زينب، مع قصفٍ بمختلف صنوف الأسلحة على أحياء اليرموك - فلسطين - الحجر الأسود.

وفي الغوطة الشرقية حقق الثوار نصراً استراتيجياً مهمّاً تمثّل في السيطرة على مجمع الصناعات الطبية (تاميكو) في المليحة، مما يعني إتاحة المجال لهم للتقدم باتجاه حاجز النور وضرب مواقع النظام في جرمانا. وفي شمال دمشق، وتحديداً في القلمون، واصل النظام تحضيراته العسكرية للبدء بمعركته الكبرى المتمثلة بإعادة احتلال المنطقة، بالاشتراك مع عصابات حزب الله اللبناني. وفي خبر ذي دلالةٍ طلبت إدارة جامعة القلمون من جميع الطلاب مغادرة الجامعة خلال 24 ساعة، ودون سابق إنذار، ربما لتكون هذه الجامعة قاعدةً عسكريّة وغرفة عملياتٍ تدير منها القيادات الأسدية عملياتها في مناطق القلمون المختلفة.

إسرائيل تضرب مرةً أخرى

تأكّدت الأنباء عن قيام إسرائيل بشنّ هجوم على مواقع عسكرية تابعة لنظام الأسد قرب اللاذقية، ومن دون أن يتوفر ما يكفي من التفاصيل حول طبيعة هذه العملية، إذ تضاربت الأنباء بين من يقول إن الهجوم تم بواسطة صواريخ أطلقت من البحر، وبين من يقول إن الهجوم تم بغارةٍ جويّة. ولم يصدر عن النظام أيّ تعليقٍ حول الهجمة الاسرائيلية المتكرّرة والجديدة على مراكز قوّاته.

ثوّار دير الزور يرفضون التفريط بدماء الشهداء...

استطلاع رأي عن جنيف2

عمر ظافر

تسابق الولايات المتحدة وروسيا الوقت لسحب المعارضة السورية والنظام السوري إلى مؤتمر جنيف2، المتوقع انعقاده في منتصف شهر تشرين الثاني من العام الحالي. إذ ترى الدولتان، حسب تصريحات مسؤوليهما، أن حلّ الأزمة السورية لن يكون إلا على طاولة جنيف، وبتسويةٍ سياسيّةٍ تتوافق مع حساسيّة المنطقة والوضع السوري المعقد.

من مؤتمر جنيف 1 | وكالة AFP

"عين المدينة" كانت مع السوريّين، الطرف الأهم في أية تسويةٍ سياسية، فاستطلعت آراء بعضهم في دير الزور عن جنيف2، وما إذا كانوا يتوقّعون أن يحقّق تطلعات الشعب السوري، وما موقفهم من الذين يريدون الذهاب إلى المؤتمر.

تقول هبة، وهي شقيقة شهيدٍ: **"لن نقبل بأية تسوية تُبقي على المجرمين الذين قتلوا أهلنا. ولن يجدي هذا المؤتمر في شيء، ما دام هناك قاتلٌ يبتزّ المجتمع الدولي بإجرامه. الإجرام لا يُفاوَض بل يُحاكَم. وإذا كان هناك من يريد الذهاب إلى جنيف فليذهب، ولكنه لن يمثّل إلا نفسه".**

ولم يختلف رأي سليمان، الذي اعتقل لمدة 6 أشهر في سجون النظام، عن رأي هبة، فقال: "شخصياً لن أقبل أن يساوم أي أحدٍ على معاناتي في سجون النظام المجرم. لن أرضى بأقل من القصاص العادل من أولئك المجرمين. لا أدري كيف يمكن أن يسير المرء في الشارع ويشاهد من قتل وعذّب يسير بجانبه دون أن تطاله العقوبة المناسبة. لا أمل لنجاح هذا المؤتمر ما دام النظام سيكون طرفاً فيه".

ويُبرز نبيل، وهو مقاتلٌ في الجيش الحرّ، ثلاثة صورٍ لأصدقاء له استشهدوا على أيدي قوّات النظام، ويقول: "من هذا الذي يرضى أن يتحاور مع قاتل هؤلاء الشباب؟ من هذا الذي يقبل أن يضع دماءهم على طاولةٍ يجلس إليها قاتلهم؟ وإذا كان حلّ الأزمة بالمساومة بين الضحية والجلاد فلماذا حملنا هذا السلاح وقدّمنا الشهداء؟ لن نقبل سوى بمحاكمة بشار الأسد ومن شارك معه في هذه الجرائم".

ولم يرَ أبو محمود، وهو قائدٌ ميدانيٌّ في إحدى الكتائب الإسلامية، في المؤتمر سوى انصياعاً لما تقتضيه مصلحة الغرب ومحاربة النهضة الإسلامية في سوريا. ويتوافق رأي مصطفى إياد، الطالب الجامعي، مع رأي أبو محمود، إذ يقول: "مؤتمر جنيف2 عنوان استسلام وموافقة على المخطط الغربي، وتحويل السلطة من الداخل والشعب إلى مجالس إسطنبول، ومحاولةٌ لحشد الجهود لمحاربة الإسلاميين. من يوافق على قيام مؤتمر جنيف سيقدم التنازلات ويفاوض على دم الشهداء".

الدكتور نوري السعيد، الناشط في المجال الطبي والإغاثي، طرح وجهة نظره عن المؤتمر، فقال: "إذا كان قرار الذهاب إلى جنيف بيد معارضةٍ مغلوبةٍ على أمرها ومرهونةٍ بالتبعية للخارج، من حيث الدعم المادي والعسكري، فلن تكون مصلحة الثورة هي الأهم، بل ستغلّب مصالح الدول الداعمة على المفاوضات. من يريد الذهاب إلى جنيف وغيرها عليه أن يكون صاحب قرارٍ مستقلٍّ متسلح بوحدة الصف وقبول الشعب السوري، لأن حرب المفاوضات متعبةٌ وتحتاج إلى قوة".

أما أبو عمار، الإعلامي في شبكة الناطق الرسمي باسم ثورة الفرات، فيرى أن الشعب قد قال كلمته بوضوح "لا لجنيف"، وأن أي مؤتمر يكون النظام وأذنابه طرفاً فيه فهو فاشلٌ حتماً، وأنها لعبةٌ لإطالة عمر النظام المتآكل.

ويبقى علي، الرجل النازح في مدينة البوكمال، وحده هو وبعض من يتمسكون بأصغر قشةٍ من الأمل، يرون أن هذا المؤتمر قد يكون نهايةً لعذاباتهم ومعاناتهم، أو لعله يكون سداً يوقف شلال الدم الجارف منذ عامين ونصف.

في مطعمٍ حلبيٍّ.. في عينتاب
هذه الثورة المشاكسة وهذا الشعب العجيب

سعيد حيّاني

إنه أكثر من مطعم للفول، كما تعرّف اللوحة (المطعم الحلَبي الأصيل.. ملتقى السوريين والعرب) في مدينة غازي عينتاب التركية، الذي افتتحه "أبو فراس"، وهو كهلٌ لطيفٌ وصاحب صنعةٍ، تمكّن خلال مدّةٍ قصيرةٍ أن يجعل من مطعمه هذا الأول على قائمة مطاعم الفول الحلبية في عنتاب، حيث أصبح للحلبيين، في انتقال عالمهم إلى هذه المدينة التي تشبه مدينتهم كثيراً، قوائم غير مكتملة لأشياء حياتهم التي قُلبت رأساً على عقب بدخول الثورة المسلّحة إلى مدينتهم قبل أكثر من عام، حياة تحولت إلى ماضٍ هانئٍ ومليء، هو موضوع مباهاةٍ وشوقٍ وحنين. وفي ارتياد هذا المطعم تلبيةٌ لهذا الشوق واستجابةٌ لحاجاتٍ جادةٍ في إيجاد البديل هنا.

أشياءٌ كثيرةٌ تغيّرت. يحسّ الحلَبي بهذا ولا يحسن التعبير عنه دوماً، أولها فقدان السيطرة على العالم الخاصّ، أو فقدان القدرة على الادّعاء به، رغم الإصرار المتواصل على نقل هذا العالم، وشيئاً فشيئاً، إلى عينتاب.

لم يحُل برد الخريف دون إخراج الطاولات إلى الرصيف.. وقف أبو أحمد، الرجل الخمسيني الذي يرتدي جلابيّةً شتويةً سوداء، يداعب المفتاح الأوتوماتيكي لسيارته، ينتظر تجهيز ما طلبه من صاحب المطعم، ليعود إلى البيت. كان أبو أحمد تاجر خيطٍ صغيرٍ أرغمته الظروف على النزوح ليفقد كل شيء، كما يقول لأحد المعارف الذين رآهم صدفةً أمام هذا الملتقى الذي يجمع سوريين كثيرين، بأنماطٍ واهتماماتٍ مختلفة، كما يبدو من نظرةٍ سريعة. فعلى طاولةٍ قريبةٍ اجتمع عددٌ من الناشطين المقيمين والزوّار يستمعون إلى كلام شابٍّ من الرقة عن الفساد في توزيع الإغاثة، وعن التضييق الذي يُمارس على الناشطين المدنيين هناك، وعن الفوضى وخروج الثورة عن مسارها. يرضي هذا الكلام تاجر الخيط كثيراً، وهو ينتظر اكتمال تجهيز طلبه من المطعم، ويحاول أن يركّز ليعرف شيئاً من الأحاديث المتنوعة التي تدور على الطاولات،

عدسة خليل

وليعرف أكثر عن سوريين آخرين لم يعرفهم من قبل، ولا يستطيع تقدير دورهم ومكانهم في سورية الجديدة. تغيرت "علوم الحياة" في عالم الحلبيّ الخاصّ، وتغيّرت كذلك أدواته في الفرز والتصنيف وتقييم الأشخاص المهمّين واصطفاء من ينفع من بينهم. فالشخص الناجح، وكما تعلّم تاجر الخيط منذ نعومة أظفاره، هو من يعرف المفتاح، والمفتاح اصطلاحاً هو الأداة التي تقود إلى الرجل العمليّ المهم النافع.

كان التقييم سهلاً في الزمن الجميل، والآن هو أمرٌ بالغ الصعوبة والتعقيد، وخاصةً مع زعم الجميع أنهم من رجال الطبقة الأولى والمؤثّرة، مما يربك التاجر، الذي يقول في نفسه بطريقةٍ تشبه الكشوفات العظيمة، كيف لمن يدّعي أنه فعّالٌ في هذه المشاكل كلها أن يعمل في الخفاء؟! إنه رجلٌ تافه، يحسم التاجر أمره ويحاول أن يفهم شيئاً من كلام رجلٍ من

ريف إدلب على طاولة أخرى، يعرّف نفسه أنه قائد كتيبة، ويتحدّث بصوتٍ عالٍ عبر الجوّال، مطلقاً اللعنات على هيئة الأركان الفاشلة، ومحدّداً شخصاً محليّاً بعينه، على أنه فاسدٌ ولصٌّ وابن حرام. وعلى طاولةٍ أخرى يشاهد تاجر الخيط ثلاثة رجالٍ يبدون كموظفين حكوميين سابقين، يتحدّث أحدهم بمتعةٍ ويصغي الآخران، عن كرم جمعيات الإغاثة التركية مع السوريين، وكيف يحصل كلّ من يسجّل اسمه في مكتبٍ بعينه . على سبيل المثال . على طنٍّ من الفحم للتدفئة في هذا الشتاء. ويعلّق الموظف الممتنّ لكرم الجمعيات الخيرية على أصوات الألعاب النارية، التي لفتت انتباه الجميع، بأن هذا اليوم يصادف العيد الوطني للجمهورية التركية. ومن منزلٍ شعبيٍّ يقابل المطعم، ويسكنه نازحون سوريّون، وقف ثلاثة أطفالٍ يصرخون بفرحٍ مع كل جولةٍ جديدةٍ للألعاب الناريّة الملوّنة: الله محيّي الجيش الحرّ.

ما زال تاجر الخيط ينتظر طلبه باعتياد من انتظر أمام مطاعم الفول آلاف المرات، يتسلّى بسماع أخبارٍ من عالم الثورة، ويقترب بين حينٍ وآخر من صاحب المطعم، ليطمئن على التقيّد الحرفي بملاحظاته الخاصة عن وجبة الفول وملحقاته، ويجيبه صاحب المطعم بتفهمٍ عميق، كما يليق برجلين من عالمٍ واحد.

شلل الأطفال: اهتمام المنظمات الإنسانية و أبناء دير الزور يطلقون حملةً لإنقاذ الأطفال من مخاطر العدوى

محمد نزار | ليلى الظاهر

بعد أن انقرض في الأراضي السورية منذ العام 1995، أطلّ مرض شلل الاطفال برأسه من جديدٍ، في محافظة دير الزور، ليشكّل التهديد الأول للصحة العامة، ولينبئ ببوادر كارثةٍ قد تقع في أيّ لحظة، وقد تستمرّ آثارها لسنواتٍ طويلة.

شلل الأطفال في سطور

مرضٌ فيروسيٌّ معدٍ يسبب شللاً رخواً خاصةً في الطرفين السفليّين.

العامل المسبّب: فيروسٌ ينتمي إلى الحمّات المعويّة.

مصدر العدوى: الإنسان المريض أو الحامل للفيروس، إذ إن المستودع الوحيد للفيروس هم البشر. ومع كل حالةٍ شللية هناك 100 حالة لا شللية غير مسجّلة، وتشير هذه الحقيقة المرعبة إلى أن مستودع العدوى كبيرٌ جداً.

طرق انتقال العدوى: عن طريق الطعام الملوّث بالميكروب، أو بالطريق التنفسي عن طريق الرذاذ المتطاير.

الأعراض والعلامات:

له أعراضٌ مشابهة للكريب، وهي:

1ـ وهن.

2ـ أعراض هضمية تتلخص بـ (فقدان شهية، غثيان، إقياء، ألم بلعوم، إمساك).

3ـ ترفع حروري 38 ـ 39 مترافقٍ بصداع.

4ـ شلل رخو غير متناظر غالباً ما يصيب الطرفين السفليين، غير قابل للشفاء.

5ـ عسر تنفسٍ ناجمٌ عن شلل العضلات التنفسية.

وله أعراضٌ متقدمة وهي سلس البول والغائط.

قابلية العدوى: أي طفل لم يتم تطعيمه، أو لم يسبق له الإصابة بالمرض، معرّضٌ للعدوى، سواء نتج عنها شللٌ أم لا. ومن المؤسف أنه ليس هناك علاجٌ نوعيٌّ لهذا المرض، فكلّ ما يمكن فعله هو الوقاية فقط من خلال اللقاح، والمناعة المكتسبة بعد العدوى أو التطعيم بالجرعات الكاملة تبقى مدى الحياة. ويتم التطعيم كما يلي:

1ـ التطعيمات الأساسية: وهي خمس جرعات؛

عدسة عمر | خاص عين المدينة

الجرعة الأولى: للأطفال في الشهر الثاني من تاريخ الولادة.

الجرعة الثانية: للأطفال بعمر الأربعة أشهر.

الجرعة الثالثة: بعمر الستة أشهر.

الجرعتان الرابعة والخامسة تنشيطيتان؛ الأولى منهما بعمر السنة وستة أشهر، والثانية بعمر الأربع سنوات وحتى دخول المدرسة.

2ـ التطعيم الاحتوائي: ويُلجأ إليه في حال تمّ تسجيل وقوع حالةٍ مرضيّة، وهذا ما يحدث اليوم. فمن المفترض أن يتم إعطاء جميع الأطفال دون الخامسة جرعتين من اللقاح، بفاصل شهر بينهما، وبغضّ النظر عن الجرعات التي تمّ أخذها سابقاً.

نصائح: يجب التبليغ الفوري عند اكتشاف الحالة وعزلها في المشفى، مع إعطاء العلاج اللازم والتطهير المستمرّ لكل متعلقات المريض. وكذلك إعطاء من احتكّ بالمريض العلاج الوقائي اللازم. ولا بدّ من التركيز على التوعية الصحية حول المرض، والابتعاد عن الأماكن المزدحمة، والتهوية الجيدة للمنازل، وعدم تناول الأطعمة المكشوفة، والأهم مراعاة النظافة العامة.

ولا بدّ أيضاً من تأجيل العمليات الجراحية غير الضرورية، وتجنّب الحقن للأشخاص الذين قد يكونوا حاملين للفيروس، خوفاً من أن تتحوّل الحالات غير المرضية إلى حالاتٍ شللية صريحة.

آخر الأرقام من دير الزور

تتحدث أمٌّ في الثلاثينيات لـ"عين المدينة"، وهي تخرج من عيادة طبيب أطفال، عن ابنها البالغ من العمر 4 سنوات، وكيف استيقظ في صباح أحد الأيام وهو يشكو من ألمٍ في بطنه، وكيف ساءت حالته تدريجياً فأصابته حمّى، وكان يشعر بالغثيان، وبعد يومين أصيب بضعفٍ في قدميه فأصبح بحاجةٍ إلى المساعدة كي يمشي. وعندما فحصه الطبيب قال بأنه أصيب بشلل الأطفال.

وليس أمام المشافي الميدانية وكوادرها الكثير لتفعله مع انشغالها الدائم بعلاج جرحى الحرب، فهذا المرض أكبر من إمكاناتهم بكثير، ويحتاج التصدّي له إلى جهودٍ ضخمة تمتلكها الدول والمنظمات الطبيّة الكبرى، والحلّ الوحيد هو استعادة برامج التلقيح التي حرم منها أكثر من مئة ألف طفلٍ في دير الزور.

تحذيرٌ دوليٌّ من انتشار شلل الأطفال في دير الزور

نبّهت عدّة منظماتٍ دوليّةٍ إلى خطورة انتشار هذا المرض بين أطفال ريف دير الزور، مذكّرة أنّه، في حال إهمال علاج مرض شلل الأطفال المعدي، سيهدِّد نحو 100 ألف طفل دون الخامسة من العمر في محافظة دير الزور بشكل عام.

إذ نشرت منظمة الصحة العالمية أنّها اكتشفت 22 إصابة بهذا المرض في ريف دير الزور، بعد أن أخذت عيّناتٍ للتأكد من مدى وجود المرض وانتشاره.

وقال بروس إبلوورد، المدير العام المساعد بمنظمة الصحة العالمية لقسم شلل الأطفال والطوارئ والتعاون القطري، وكما نقلت وكالة رويترز: "جاء هذا الفيروس عبر الأرض، ممّا يدلّ أن الفيروس ليس في ذلك الركن فقط من سوريا، وإنما في منطقة أوسع".

وتجاهلت وزراة صحة النظام ما يحدث في دير الزور، وأعلن الوزير المختص "سعد النايف" عن حملة لقاحات في كلٍّ من دمشق، حلب، حمص، السويداء. وبعد أن نجح بعض الناشطين من دير الزور بالاتصال مع منظمة صحيّة في بلجيكا اهتمّت للأمر، وتأكّدت من ظهور المرض؛ بدأ الاهتمام الدولي، من خلال اعتراف منظمة الصحة العالمية على لسان "أوليفر روزنباور"، المتحدّث باسم برنامج القضاء على مرض شلل الأطفال بالمنظمة، الذي ذكر في مؤتمرٍ صحفي عقده في جنيف "إن من بين 22 حالة التي جرى فحصها تأكدنا الآن من وجود فيروس شلل الأطفال من النوع الأول في عشر حالات".

حملة أهليّة بعنوان "أنقذوا أطفالنا في دير الزور"

أطلق بعض الناشطين المغتربين من أبناء المحافظة، بالتعاون مع ناشطين ميدانيين من داخل ريف دير الزور، حملةً تهدف إلى التصدي لهذا المرض، من خلال الحصول على اللقاحات اللازمة وتطعيم الأطفال المعرّضين لخطر الإصابة.

وفي نتائج مخيّبةٍ للآمال، رغم الاهتمام الإعلاميّ بالموضوع، لم يقدّم أحدٌ أي شيءٍ بشكلٍ عمليّ، باستثناء 7 آلاف لقاح تمكن الأطباء المحليّون من تأمينها بجهودٍ خاصة، وعبر وساطاتٍ مع وزارة صحة النظام، التي تحاول تبرئة نفسها من خلال إرسال هذه الكمية القليلة جداً من اللقاحات، التي لا تعني شيئاً لمئة ألف طفل يحتاجون إليها.

ولا بد من الإشارة إلى أن أسعار اللقاحات بلغت في الصيدليات الخاصة 7000 ليرة للأنبولة الواحدة.

في النهاية

لا بد من التذكير أن مرض الشلل الرخوي قد تمّ القضاء عليه في معظم بلدان العالم، باستثناء ثلاثة دول هي باكستان، أفغانستان، نيجيريا. وفي إحصائيات منظمة الصحة العالمية للعام الماضي سُجّل اكتشاف 223 مصاباً فقط في العالم كله. ويخشى أن يرتفع الرقم لهذا العام أضعافاً مضاعفة بآلاف الحالات التي قد تسجّل من سوريا، بعد انهيار منظومة الرعاية الصحية في البلاد، ومع الظروف الكارثيّة التي يتعرض لها السوريون، من نزوح وتلوّث بأنواعه المختلفة، وغياب لأي برنامج صحيٍّ يواجه الأوبئة المتعاقبة، وكذلك انتشار الأطعمة. وأحياناً. الأدوية الفاسدة التي يروّجها التجار المستغلّون للأزمات.

حملة التلقيح الوطنية في دير الزور 2008

عدد حالات شلل الأطفال حتى تاريخ 1-11-2013 هو 31 حالة مؤكّدة تتوزع في المناطق التالية:

17 حالة في صبيخان.
3 في البصيرة.
3 في قرية الحريجي.
3 في العشارة.
2 في الميادين.
2 في موحسن.
1 في الكسرة.
هناك 13 حالة مشتبه بها في صبيخان، التي يبلغ عدد الأطفال المحرومين من اللقاح فيها 12 ألف طفل.

من صفحة "أنقذوا أطفال دير الزور من شلل الأطفال" على الفيسبوك

معركة الرشديّة

أيمن عيسى

على أصوات غارات النظام نستيقظ، وعلى وقع القذائف ننام؛ هكذا وصف أحد المدنيّين في الأحياء المحرّرة حياتهم أثناء العمليات العسكرية في دير الزور، وآخرها عملية الرشديّة.

عدسة أحمد | خاص عين المدينة

يقول أبو محمد: شاع في الفترة الأخيرة أن هناك عملاً عسكريّاً في المدينة، وبدأنا نترقّب ساعة الصفر. وكلما سمعت صوت اشتباكٍ أتبادل مع جيراني الآراء.. ها قد بدأت العملية.. وآخر يقول لا.. لا، إنه مجرد اشتباكٍ بسيط.. والثالث يقول إنه اقتحامٌ من قبل قوات الأسد ربما، فقد سمع أن النظام يحشد لاقتحام المدينة. وترانا كلما مرّ أحد عناصر الجيش الحرّ أو الإعلاميين نستوقفه متسائلين: أين هذا الاشتباك؟؟ هل هناك تقدمٌ للشباب..؟؟ والطريف في الموضوع أننا نصبح خبراء عسكريين في هذه الأوقات، فهذا يضع خطةً للاقتحام، وذاك يعدّل عليها.. ويردّ آخر بنسف الخطة بالكامل.

طيران الميغ

عندما يشنّ الجيش الحرّ هجوماً يصاب النظام بحالةٍ هستيرية، فيعمد إلى قصف المدينة بشكلٍ عشوائي. وسلاحه الأقوى هو طائرات الميغ، التي قد تقوم وقتها بأكثر من عشرين غارة، عقوبةً للأهالي بشكلٍ أو بآخر، ولذلك تجد الشوارع خالية من المارّة. يقول الحاج أبو خالد:

اعتدنا القصف. وأصبحت لدينا خبرةٌ منذ اللحظة الأولى لإطلاق القذيفة من الجبل أين ستسقط، لكن الطيران لا حلّ له، فصاروخ الطائرة قد يدمّر مجمّعاً سكنيّاً بالكامل. تدفعني لهفتي للحديث إلى الجلوس أمام باب منزلي، وشيئاً فشيئاً يجتمع الجيران فنجلس لنحتسي الشاي. لكننا نذوب من أماكننا حين نسمع صوت الطائرة، ويعود الجميع إلى منزله. وبعد انتهاء الغارة تسمع أصوات الدعاء على النظام وعلى الطيار، وتبدأ التساؤلات: أين أغارت الطائرة؟

الإعلام والتهويل

الإعلاميون في المدينة كالجيش الحرّ، فهم في حالة استنفارٍ وتأهّبٍ دائمين أثناء العمليات العسكرية. فالبعض يعتلي أسطح المباني، والبعض الآخر ممن لديه علاقاتٌ قويّةٌ مع الكتائب التي تنفذ العمليات . يكون على الخطّ الأول يوثق الاشتباكات. يقول عمر، وهو أحد الإعلاميين في المدينة: إن الإعلامي أول من يعلم بأخبار الاقتحامات والتقدّم والتراجع، بحكم مجال العمل. ويضيف أن بعض الإعلاميين تأخذه الحميّة فيبالغ في نقل الخبر، ففي عملية حي الرشديّة السابقة نقل بعض الإعلاميين أخباراً عن استيلاء المجاهدين على المشفى العسكري وأن الاشتباكات صارت تدور حول فرع الأمن العسكري، مع أن المجاهدين كانوا لا يزالون يقاتلون في حي الرشديّة نفسه. ولا ينفي عمر أن هذه الأخبار كانت خاطئة، ولكنه يرجعها إلى قلة خبرة الشباب وحماستهم. ويضيف مازحاً: لو تُرك الإعلام لبعض الإعلاميين لأسقطوا النظام بيومٍ واحد.

المترقّبون بقلق

هذا حال الأهالي في حيّي الجورة والقصور، الذين سبّبت لهم عمليّة حيّ الرشدية المتاخم القلق من بطش النظام، كما تصف أم أحمد: من المعروف أن النظام يقصف الأحياء التي يسيطر عليها الجيش الحرّ، وهنا يوجد أكثر من نصف مليون نسمة، وقذيفةٌ واحدةٌ تكفي لإحداث مجزرة. كما أننا نحن نخاف أن يكون تقدّم المجاهدين غير مدروس، فقد يتقدمون لبضعة أيام ويتراجعون. وكلنا يذكر مجزرة العام الماضي.

أما محمد، وهو شابٌّ من أهالي حيّ القصور، فيقول إنه كان يتابع الحدث بحماس شديد، فهو يتمنى دخول المقاتلين إلى الحيّ لتحريره من قوّات النظام التي تقوم بمضايقة الأهالي واستفزازهم. ويضيف: في أيام العمليّة كان شبّيحة الدفاع الوطني مذعورين، وترى ذلك في كل تصرفاتهم. ففي أول أيام العيد، عندما كانت الاشتباكات على أشدّها وأشيع بأن المجاهدين سيسيطرون على الحيّ، دخل أربعةٌ من قوات الدفاع الوطني محلّ أحد الحلاقين وبدأوا يقولون بصوتٍ مرتفع، كي يسمع الموجودون: نحن مدنيّون ولم يكن لدينا عمل، فانتسبنا إلى الدفاع الوطني من أجل المال. ولكننا لم نحمل سلاحاً، ولم نقم بإيذاء أحد. وبعد أن أنهوا حديثهم أجابهم أحد الموجودين: "أنا مصدّقكم، بس اسألوا الجيش الحرّ".

حفّار القبور الشجاع..

أحمد الصالح

في الحالات التي تعذّر فيها إخراج جثامين الشهداء من مدينة دير الزور، كانوا يدفنون فيها، في حدائقها على وجه الخصوص. والزائر اليوم لأي حديقةٍ لا بدّ أن يدرك أنه أمام مقبرة، ولا بدّ أيضاً أن يسأل من دفن كل هؤلاء الشهداء؟

إنه أبو صالح، الرجل الذي جاوز الأربعين عاماً، ومعلّم إكساء الجدران السابق، الذي تحوّل إلى حفّار قبورٍ بعد أن تطوّع لهذا العمل النبيل والإنساني والشجاع. "عين المدينة" زارت أبو صالح في موقع عمله، لتلقي الضوء على نموذجٍ فريدٍ من نماذج الثوار الذين يعملون بدأبٍ وصمودٍ وصمت. يقول أبو صالح:

اشتدّ القصف على المدينة، قبل أكثر من عام. كنت أهرع مع بعض الأصدقاء لإسعاف المصابين وحفر القبور للشهداء. كانت حديقة مساكن الحزب، القريبة من منزلي، المقبرة الأولى في المدينة، وذلك لقربها من إحدى المشافي الميدانيّة، بالإضافة إلى أن القصف في بداياته كان مركّزاً في حيّ الحميديّة، لذلك لم يكن الاعتماد كبيراً على حديقتي الحضانة والمشتل. استمرّ الوضع على هذا الحال قرابة الشهرين، وبعدها دخلت حملة الحرس الجمهوري. في تلك الأثناء خوت المدينة من السكان تماماً، وأعداد الشهداء كانت كبيرة. عندها قرّرت أن أتفرّغ تماماً لحفر القبور وتوثيقها.

يستيقظ أبو صالح كل صباح ويذهب إلى عمله، ليحفر يومياً قبرين إلى ثلاثة، وفي أحيانٍ أخرى يحفر ستة، وربما أكثر، وبحسب الظروف!

متاعب الحفر والدفن

يشكو أبو صالح من طبيعة تربة الحديقة، فهي كلسيّة والحفر فيها صعب، وقد يحتاج قبرٌ واحدٌ لساعاتٍ طويلةٍ من العمل، وخاصةً مع الأدوات اليدوية، فلا توجد أي آليات تساعد في هذا. وإذا تحطّمت المجرفة أو "الكريك"، اضطرّ أبو صالح إلى تعبئة التراب في أكياس ونقله خارج الحفرة. وهناك أمرٌ آخر لا يقلّ صعوبةً عن الحفر، وهو الألواح البيتونية أو الطباقات، التي تستخدم في الدفن لعزل جثمان الميت عن التراب المردوم فوقه، لأن تأمين هذه الطباقات وصبّها أمرٌ صعبٌ، نظراً لندرة الإسمنت ومواد البناء، مما يدفع أبو صالح، في مرّاتٍ كثيرة، إلى المغامرة بحياته والتسلل إلى خطّ التماس في حيّ الجبيلة لجلب الإسمنت من بناءٍ قيد الإنشاء (قبل الحرب) يقع تحت مرمى القنّاص. وفي مرّاتٍ أخرى اضطرّ أبو صالح لاستخدام ألواح خشبية بدلاً من "الطباقات". وهناك معاناةٌ أخرى في عمله هي الشواهد التي تحمل الاسم وتاريخ الاستشهاد، ففي البداية استخدم أبو صالح السيراميك، لكنه اكتشف أن الكتابة سرعان ما تزول عنه، ولذلك هو دائم البحث عن الأحجار الكلسيّة المصقولة، والمسمّاة بالحجر الحلبي، لتكون شاهدة القبر. لا يخلو عمل أبو صالح من المغامرة، فحفر القبور تحت القصف عملٌ خطيرٌ، وقد تعرّض لإصابةٍ في كتفه عندما سقط صاروخ في الحديقة - المقبرة، أثناء حفره لأحد القبور.

عدسة أحمد | خاص عين المدينة

أين كانت إصابة الشهيد؟

يعتبر أبو صالح شخصيةً معروفةً من السكان ومقاتلي الجيش الحرّ، فبابه يطرق في كل الأوقات. وكثيراً ما يأتي مقاتلو الحرّ في منتصف الليل ليخبروه أن شهيداً سيُدفن في الصباح ويحتاجون إلى قبر. وعندما يعود إلى بيته بعد يوم عملٍ شاقٍ يجد زواراً يسألون عن مكان قبر شهيدٍ، ويسألون أيضاً عن اللحظات والهيئات الأخيرة التي بدا عليها فقيدهم قبل دفنه. فأبو صالح هو آخر من رأى الشهيد قبل أن يوارى التراب، وهو من يحفر القبر وينزل الميت إلى مكانه قبل الدفن، وهو أيضاً من حفر 150 قبراً وثلاثة خنادق كمقابر جماعية في أوقات المجازر، فهو من دفن شهداء مجزرة البرّية الذين قضوا حرقاً على أيدي قوات الحرس الجمهوري قبل أكثر من عام، ودفن أيضاً عوائل بكامل أفرادها، ودفن معارف وأقرباء وأصدقاء وجيران.

لا يتلقّى أبو صالح دعماً من أحد. وهو يقول إن الكثيرين عرضوا عليه مالاً مقابل عمله، ولكنه رفض ذلك فهو يعمل لوجه الله، ودعاء الناس والجيران له في السرّ والعلن يكفيه.

العرعوريَّات..
سيَّاراتٌ رخيصة من مصادر مختلفة

بلال عبد القادر

لعلّ المبكي في الثورة السورية كثيرٌ وكثيرٌ جداً، ولكن ذلك لم يمنع من وجود فسحةٍ للمفارقات المضحكة في بعض المواطن، ولعلّ تسمية السيارات العرعورية واحدةٌ من تلك المفارقات. فبمجرد سماعك الاسم تجول بخاطرك أسئلةٌ عديدة: كيف جاءت هذه التسمية؟ ولماذا ارتبطت باسم الشيخ العرعور، أحد أشهر المحرّضين التلفزيونيين في الثورة؟ وتتساءل أيضاً عن سلبيّة هذا التسمية أو إيجابيتها؟ وغيرها وغيرها من التساؤلات التي تستفزّ المخيلة. ولاكتشاف سرّ هذه التسمية كان لا بدّ من الاستماع لآراءٍ عديدةٍ من الشارع، لأن التسميات التي يخترعها المخيال الشعبي ترافقها دوماً رواياتٌ عدّةٌ قد تكون واحدةٌ منها، أو أكثر، صحيحةً.

أبو أحمد (مالك سيّارة خاصّة):

ارتبطت تسمية العرعوريّة بنوعٍ من السيّارات الحديثة والمستعملة القادمةً من تركيا، والتي تباع في مكاتب انتشرت في مدن وريف المناطق المحرّرة، أي في مناطق كثيرةٍ من دير الزور والرقة وحلب. وتتميّز هذه السيّارات بأنها، ورغم كونها مستعملة، آليّاتٌ (نظيفة)، أي أنها لم تستعمل إلى درجةٍ أثّرت على مواصفاتها، سواءً كآلية عملٍ أو كمنظرٍ خارجيّ (الشاصيه، الفرش الداخلي). ودخولها حديث العهد، أي بعد أن حرّرت هذه المناطق، وذلك بسبب القيود التعجيزيّة التي كان يفرضها النظام على شراء السيارات، والتي تعتبر من الأشدّ على مستوى العالم.

ويتابع أبو أحمد: هذه السيارات بدون نمرة، لأن دخولها غير نظامي، الأمر الذي يؤثّر على عمليات اقتنائها وبيعها وشرائها. فبمجرّد أن تستقرّ البلاد سيضطرّ مالك السيارة إلى دفع الرسوم، سواء أكانت قليلةً أم كثيرة، ليستطيع الحفاظ على سيارته، وإلا سيبقى استخدامه لها مرهوناً بأماكن معينة في الريف ليس إلا.

جاسم العلي (سائق تكسي عمومي):

عند سؤال هذا الشاب عن التسمية أجاب بدايةً بضحكةٍ يشوبها شيءٌ من النقمة والسخرية، الأمر الذي دفعنا لمعرفة المزيد منه حول هذه النقطة، فأردف قائلاً: هذه التسمية تعبيرٌ عن نماذج عديدة من السيارات، لا من حيث النوعية إنما من حيث المصدر والمشروعية. فهناك كلامٌ عن سرقة آلاف أرقام (نِمَر) السيارات من مديرية نقل حلب، وبيعها بطرقٍ غير مشروعة، لتوضع على سياراتٍ سُرِقَت من حلب وريفها والرقة وريفها، وتباع في مناطق أخرى مثل ريف دير الزور، وبأسعارٍ أقلّ بكثير من قيمتها الحقيقية. وهذه السيارات حديثة غالباً، وذات مواصفاتٍ ممتازة، وغالية الثمن بالأساس، بحيث أنها تشكل إغراءً لفئة الزبائن الذين لا يهمّهم موضوع الحلال والحرام كثيراً. طبعاً هذا لا ينفي أن بعض هذه السيارات المسروقة تكون من دون نمرة.

أما عن التسمية فقد وضّح: ارتبط اسم العرعور بالثورة، كونه الاسم الأشهر الذي شجّع على العسكرة، من إقامة الحواجز إلى خروج دوريات حراسة عند كل حيّ، إلى التجييش بخطابه الغنيّ عن التعريف، الأمر الذي أدّى . مع عوامل أخرى . إلى حرف الثورة عن مسارها السلميّ، فلذلك أحبَّ البعض ممن كان ضد العسكرة أن يربط بين أمر هذه السيارات المريب وبين الشيخ العرعور، لأن الاثنين موضع انتقادٍ.

العرعوريّات، وريبةٌ تستوجب الانتباه:

محمد الحسين، رجلٌ أربعينيٌّ عانى من حادث سير سبّبته إحدى هذه السيارات، وصفه بالقول: عندما كنت أمشي وقت العصر في أحد الشوارع العامة، وكان حينها لا يحتوي سوى القليل من المارّة والسيارات، صدمتني سيارة (مفيّمة)، الأمر الذي أوقعني على الأرض وتسبّب في كسر ساقي، واحتجت إلى عدّة شهور لمعاودة السير بشكلٍ طبيعي. ولم يتمكن أحدٌ من معرفة السيارة لأنها بلا نمرة، ولم تكفِ مواصفاتها في هذه العجالة لمعرفتها بدقة.

أبو مناف (تاجر سيارات):

حدثنا أبو مناف عن وضع هذه السيارات في السوق، فقال: هناك طلبٌ متزايدٌ على هذه السيارات، بسبب المال الذي يوفّره استثمار النفط من قبل الكثيرين. وأسعارها ليس رخيصةً بالضرورة، إذ تبدأ من 400 ألف ل. س لتتجاوز المليون في بعض الحالات، حسب جودة وندرة السيارة.

مصطفى... طفلٌ مشرّدٌ في زمن الحرب

خليل عبد الله

في مقرّ كتيبةٍ من كتائب الجيش الحرّ بدير الزور يعيش مصطفى. وهو طفلٌ ذو (13) عاماً، من أبوين منفصلين. والده في حيّ الجورة المحتلّ، يقاتل مع جيش الشبّيحة أو جيش الدفاع الوطني.

لمصطفى أخوان يكبرانه في السن، وكانوا جميعاً يعيشون مع أبيهم المتزوّج من امرأةٍ أخرى في حيّ الجبيلة. وبعد ارتفاع حدّة القصف بالمدفعية والطائرات، نزح مصطفى مع أهله إلى حيّ الجورة، وهناك بدأت حلقةٌ جديدةٌ من حلقات معاناة هذا الطفل. إذ لم يغيّر النزوح من طباع والده الوحشيّة في التعامل مع أبنائه إلا إلى الأسوأ، وخاصّة مع انضمامه إلى ما يسمى جيش الدفاع. فصار يضيف كل يوم إلى جرائمه في عمله مع عصابات القتلة، جرائم أخرى يرتكبها في تعذيب أولاده. وكما يقول مصطفى واصفاً أباه: "كان يعذّبنا كلّ يوم، ويشبّح علينا. وبس يزعل من واحد يقتل الكل".

لا يدرك مصطفى معنى كلمة تشبيح، وما يعرفه عنها أنها ترتبط بوالده سيء السمعة والأخلاق بحسب ما يذكر كلّ من يعرفه. ويضيف مصطفى، بعد عبثٍ قصيرٍ بشاشة الكمبيوتر الموضوع أمامه في مقرّ الكتيبة: "مرّة لما أخوي الكبير ما فعل يشتغل بالصناعة كهربو، عذّبه بالكهربا".

كان الأب سمساراً في مزادٍ للدراجات النارية، يشرب الخمرة كلّ يوم ويتذمّر من المظاهرات. وبحسب ما يقال كان مخبراً أيضاً، ويؤيّد هذه المقولة أنه تطوّع في جيش الشبّيحة عندما سنحت له الفرصة وأصبح في أمانٍ نسبيٍّ من عقاب الثوار. وهناك، في حيّ الجورة، أجبر أولاده على العمل في بيع الخبز وهو يقول لهم: "من وين أطعميكم؟... لازم تشتغلون". وهذا الشغل يعني الخروج من البيت بعد منتصف الليل، والمرور من حواجز المخابرات وكثيرٍ من المغامرات في ظروفٍ شديدة الخطورة.

وذات يوم، وبحسب ذاكرة الطفل الذي أصبح يتكلم مثل الكبار ويبكي بصمتٍ مثلهم: "ضيّع أخوي الكبير المصاري واحنا رايحين عالفرن. قلبنا الدنيا، دوّرنا عليها بكل مكان، وسألنا كل الناس، وما لقيناها. ولما رجعنا عالبيت دري أبوي... فوراً فوّتنا على غرفة وبلّش يقتل بينا بكبل ثخين. أنا صفرنتو بعد كم ضربة، ولما قعدتو بعدين شفتو أخوتي مورّمة روسهم وعيونهم. دقينا الباب تا يفتح لنا ما فعل. قال بس أفتح راح أقتلكم النوب، لسّا ما برد قلبي منكم. واستنّيناه لما طلع الظهريّات كسرنا الباب وانهزمنا من السطوح. وكانت الهزيمة بحيل وميل سهلة". وخروجهم من الجورة كان سهلاً أيضاً، وكذلك دخولهم إلى الجزء المحرّر من المدينة. وبعد أن ذهب أخواه كلٌ إلى حال سبيله، بقي مصطفى وحده تائهاً في الشوارع، ليأخذه بعض المارّة إلى الهيئة الشرعيّة، حيث عمل في تنظيف المقرّ مقابل المأوى والطعام. عدّة أيام ثم لم يلبث أن هرب بعد أن ضربه وأهانَه أحد الحرّاس، ليعود إلى الشوارع مرةً أخرى، إلى أن أخذوه إلى مكانه الحالي في مقرّ هذه الكتيبة.

وليّ أمر مصطفى الجديد

يقول محمد، قائد الكتيبة التي استضافت هذا الطفل المشرّد، إنه سمع بحكاية مصطفى من أحد الجيران، وإنه تأثر كثيراً، ورحّب به على الفور بينهم إلى أن يجد أحدٌ ما في هذه الدنيا حلاً لوضعه المأساوي. ويضيف محمد أن الجيران تعاطفوا أيضاً مع هذا الطفل، فجلبوا له اللباس وقدّموا له المال.

مصطفى | عدسة أحمد | خاص عين المدينة

"طلعتو من الصف الثاني، أكره المدرسة. وأبوي ما انزعج"، يجيب مصطفى على سؤالنا إن كان يعرف القراءة والكتابة. ويعقّب محمد أن مقاتلي الكتيبة يحاولون تعليم الطفل القراءة والكتابة، ويتركونه ليتسلى كلما أراد اللعب بالكمبيوتر، ويعاملونه كأخيهم الصغير. ويضيف محمد أنه، ومنذ اليوم الأول لوجود مصطفى، نبّه الجميع إلى احترام هذا الطفل وعدم الإساءة إليه، وأنه طرد أحد أفراد الكتيبة لأنه أهان الطفل.

حاول محمد التواصل مع أقارب مصطفى للمساعدة دون جدوى، فالنتائج مخيبة. ويتمنّى محمد أن تتقدّم جهةٌ ما لترعى هذا الطفل وتنقله إلى مكان أفضل. فهم هنا، ومهما حاولوا، لن يستطيعوا العناية به كما يجب.

يستمع مصطفى إلى كلّ هذا الكلام ولا يبدو مكترثاً به، فما يهمّه هو شيءٌ واحد: أن يلعب وفقط يلعب. وكانت له أمنيةٌ وحيدةٌ، حلم بها كثيراً وتحقّقت في بيته الجديد، وهي أن تكون له دراجةٌ هوائيّة.

"قَصَدْنا مَدينتكمُ العامرة"

عبد الله حسن

قالها ذاك الغريبُ مستفتحاً يسألُ عن حاجةٍ له، وقد اختصر حالَ المدينةِ بها.

مسكنة، مدينةٌ في ريف حلبَ الشرقيّ، حرّرها الجيشُ الحرُّ في الحادي عشرَ من آب السنة الفائتة. وقد تعرّضت المدينة آنذاك لقصفٍ مُكثفٍ بالطيران الحربي بمعدّل غارتين يوميّاً، نظراً لوقوعها على الطريق الرئيسيّ بين حلبَ والرقة، ومجاورتها مطارَ (الجرّاح) العسكريّ.

استمرّ وضعُ المدينة مأساويّاً على كافة الصُعد إلى أن أمسَكَت حركةُ أحرار الشام زمامَ الأمور فيها، وتَلا ذلكَ تحريرُ مطارِ (الجرّاح)، تاركاً المجالَ لطورِ الإدارة والتنظيم، وفاتحاً البابَ أمامَ كلِّ من امتدّت يدهُ لفعلِ الخير، فكانَ أن تشكّلَ المجلسُ المدني وفق نظامٍ داخليٍّ يفرض تداول رئاسة المجلس كلَّ ثلاثة أشهر:

رئيسُ المجلس المدني، أحمد الشحاذة، يحدّثُ "عينَ المدينة" فيقول:

لما كان الخبزُ يأتي بعدَ الأمن في الأهميّة، ونتيجةَ قلة مادة الطحين واستئثار النظام بالمطاحن آنذاك، وكادَت أن تُغلقَ المخابزُ في مسكنة؛ عمدنا إلى إجراء احصاءٍ شَملَ المدينةَ وقُراها، ووزّعنا بطاقاتٍ مخصّصةً لكلِّ عائلةٍ تُحدّدُ الكميةَ المستَحَقّةَ من الخبز لها تبعاً لعددِ أفرادها، كما كثّفنا جهودنا للسعي في توفير كميةِ الطحين المطلوبة. وبعد جهودٍ مضنيةٍ استطعنا أن نكفي المدينةَ شرَّ انقطاع الخبز وعناءَ وقوفِ الناس من الصباح إلى المساء أمامَ الأفران، إضافةً إلى أننا تجاوَزنا الهدرَ في مادة الخبز وبَيعَها بأسعار تُعجزُ الغنيّ والفقيرَ، في مرحلةٍ كانَ النظامُ يصبُّ جامَ غضبهِ على المخابز ويمزجُ الخبزَ بالدم على أعتابها.

وعمدَ المجلسُ المحلي إلى متابعةِ حالةِ الكهرباء والماء، فتمّ إصلاحُ منظومةِ الريّ وشبكة الكهرباء التي تعدّدت وتنوّعَت أعطالها وإشكالياتها، من قطعٍ في الأسلاك وخطوط التوتّر العالي القادمة من سد الفرات نتيجة زيادة الطلب للكهرباء، واحتراقِ بعض المحوّلاتِ الكهربائية حول السدّ بسبب قصفها من قِبل قوات النظام.

لم يقف نشاطُ المجلسِ المدني في مسكنة عند الضرورات، كالخبز والكهرباء فقط، وإنما تسابقَ أفرادهُ كلٌّ في مجاله، فقد تم إصلاحُ بعض الطرقاتِ بإمكانياتٍ بسيطة، وتنظيمُ المرور وسوق الثلاثاء الذي يقصدهُ التجارُ والمتبضّعونَ من مختلفِ المدن والبلدات المحيطة، كما تم تعبيدُ الكراج وإحاطته بإطارٍ زُرعَت فيه أشجارُ الزينة..

عدسة عبد الله | خاص عين المدينة

من أعمال المجلس المحلي بمسكنة

إضافةً إلى ذلك تم افتتاحُ عدّةِ مشاريعَ منها الصغيرُ والمتوسط، كان منها معملُ الأجبان الذي أُنشئ لتلافي فسادِ الحليب البقريّ الذي تنتجهُ مباقرُ مسكنة وتسويقه، إذ يُشرفُ حوالي العشرينَ عاملاً وطبيباً بيطرياً على حوالي خمسةَ عشر ألف رأس بقري، من توفير لحاجاتها الأساسية من الأعلاف والطبابة وسواها، بعد جُهدٍ مُضنٍ بسبب قلة الموارد المالية.

ومنها أيضاً مشروعُ سوق الهال الجديد المزمَع إنشاؤهُ قريباً، والذي بدأ المجلس بتنفيذهِ منذ مدّةٍ ليست بالقصيرة، إلا أن قلة الموارد المالية تحولُ دائماً دونَ الإسراع في إنجاز أي مخطّط. وللمشروع الآنف ذِكرُهُ أهميةٌ كبيرةٌ، لأنه الأول من نوعهِ في المنطقة، ويهدفُ إلى تنظيم السوق الرئيسي للمدينة ونقل "البسطات" إلى مكانٍ آخرَ أكثر تنظيماً.

كان ذلك كله سبباً رئيسياً في أن تكون مدينة مسكنة عامرةً مأهولةً، ولعلّ النازحينَ إليها من المناطق الأخرى هم أكثرُ من أهلها. ولا عجبَ، فأينما يمّمتَ وجهَكَ فيما يُحيطها لن تجدَ إلا مدناً طالتها قذائفُ مدفعيّةِ النظام أو طيرانه.

يختمُ رئيس المجلس قائلاً: كحال أي مدينةٍ سورية.. تُعاني الكثيرُ من العائلاتِ في مسكنة حالةً من الفقر وغيابَ أبسطِ أساسياتِ المعيشة، مما دَفَعَنا إلى افتتاح جمعية مسكنةَ الخيرية التي تُعنى بهذه الإشكالية وتحاول إيجادَ حلولٍ عاجلة بتخصيص حِصَص غذائية شهريةٍ لكلِّ عائلةٍ فقيرة، تصلُ أحياناً الى الألفِ حصّةٍ غذائية، بالاضافة إلى حلولٍ طويلةِ الأمدِ بدفع رواتب بعض الموظفين الفقراء العاملينَ لصالح الجمعية الخيرية أو بافتتاح بمشاريعَ صغيرةٍ لهم تكفيهم السؤال، علما أن ماليّةَ هذه الجمعية في أغلبها من تبرعات المغتربين من أهل المدينة.

الاتحاد الرياضي السوري الحرّ

عبد الرحمن شرم

قد يستغرب الكثيرون عندما نتحدث عن المجال الرياضيّ الآن، رغم أننا نسمع عن تشكيل كثير من المنظّمات والمجالس. ففي كلّ يومٍ جديدٌ في حلب، ولكنها عموماً في إطار الواجبات والأساسيات كالإغاثة والكهرباء والتعليم ومجالس الأحياء...

«الرياضة حياة»... هذه ليست كلمة الديكتاتور الراحل، بل هي حقيقةٌ يعرفها كل الرياضيين، وخصوصاً في حلب. فحسب إحصائيات 2011 . 2012 كان هناك أكثر من 200 ملعبٍ خاصٍّ (بالإيجار) في حلب وريفها، عدا عن باحات المدارس. أما التراجع الكبير لمستوى الرياضة السورية في الترتيب العالمي والآسيوي، وحتى في الدوريّات المحلية، من سوء التجهيز بالكوادر الرياضيّة؛ فقد أرجعه أغلب الرياضيين إلى الفساد الذي كان موجوداً في كل الدوائر الرياضية.

ولذلك قرّر الشباب الرياضيّ الحرّ تشكيل (الاتحاد الرياضيّ السوري الحرّ)، الذي هو، كما جاء في نظامه الداخلي: مؤسسةٌ نقابيةٌ مستقلةٌ تتمتع بالاستقلالية المطلقة إدارياً وماليا بعيداً عن أي جهة سياسية أو حزبية أو عرقية. وقد كانت مدينة حلب الحاضن الرياضي المناسب لتأسيس هذا الاتحاد، الذي يهدف إلى توحيد الرياضيّين في مؤسّسةٍ واحدةٍ تشارك باقي المؤسّسات في بناء الدولة الجديدة. وقد اعتمد الاتحاد مبدأ التصويت في اتخاذ القرارات أو وضع بنود النظام وتعديلها، بموافقة ثلثي أعضاء مجلس الإدارة.

و قد لقي هذا العمل إعجاب كثيرٍ من الرياضيّين، بينما اعتقد آخرون أنه سيكون مرآةً للمنظّمات الرياضية السورية القديمة، ولن يقدّم شيئاً جديداً. وقالوا إن من سلبيات هذا الاتحاد الواضحة البطء في العمل، وعدم وجود أماكن جيدة للتدريب، وعدم امتلاك الأموال لإنجاز تغييرٍ جذريٍّ في الرياضة السورية. ولكن أفضل إيجابيات هذا الاتحاد تبقى في أنه نظّم مشاركة الرياضيين في الثورة السورية، وجمعهم في مؤسسةٍ واحدة. وهي سياسياً قفزةٌ نوعيةٌ للمعارضة الداخلية والنشاط المدني، الذي يُبرز، مرّةً بعد مرّة، أنه قويٌّ وقادرٌ على تحمّل مسؤولية أعباء الدولة القادمة...

طلاب سوريا الحرَّة

وائل الناصر

نظّمت الهيئة الوطنيّة للتربية والتعليم العالي، وهي الجهة الرسميّة المسؤولة عن ملف التعليم في الائتلاف الوطني، الامتحانات الطلابية في المناطق المحرّرة ودول الجوار (تركيا . الأردن . لبنان)، وذلك اعتباراً من تاريخ 15/ 8/ 2013 ولغاية 29/ 8/ 2013. وقد تجاوز عدد الطلاب المسجّلين للتقدم لامتحان شهادة الثانوية العامة 10000 طالباً وطالبة.

ويقول علي الصالح، ممثل محافظة دير الزور في اللجنة العليا للامتحانات:

بعد جهودٍ استمرّت لشهرين استطعنا تنظيم العملية الامتحانيّة لطلاب شهادة الثانويّة العامة بأمانةٍ ومهنيّةٍ عاليتين، والتغلب على جميع المصاعب في ظلّ التحديات بأشكالها الأمنيّة والإداريّة والماليّة. وتسعى الهيئة الآن لتأمين قبولٍ جامعيٍّ للطلاب الناجحين في دولٍ مختلفة. وهناك وعودٌ جادّة من الحكومة التركية بقبول الطلاب الحاصلين على شهادة الثانويّة العامة، بعد أن اعترفت بالشهادات الممنوحة من قبل الهيئة. وهناك أيضاً وعودٌ من دول أخرى .

من النتائج:

مضر عبد الكريم الجمعة، الأوّل على محافظة دير الزور في الفرع العلمي.
بمجموع: 240/234.
ضحى حسين الجاسم، الأوّل على محافظة دير الزور في الفرع الأدبي.
بمجموع: 220/174.
380 طالباً وطالبة أكملوا امتحاناتهم في دير الزور.
201 طالباً من الفرع الأدبي | 179 طالباً من الفرع العلمي.
الناجحون: 91 طالباً من الفرع العلمي | 97 طالباً من الفرع الأدبي.

أعمالٌ ومهنٌ جديدةٌ للنازحات

هنادي عبد الوهاب

نساءٌ كثيراتٌ يعانين من مصاعب وانعكاسات ما يجري على الأراضي السورية، لكن بعضهنّ يعانين مأساةً مزدوجةً تتلخّص في النزوح بالإضافة إلى فقدان المعيل، مما يدفعهنّ إلى العمل مرغمات.

أريد أدراجاً لا ينافسني عليها أحد!

اعتادت أم محمد على العمل في إحدى رياض الأطفال الخاصّة، لتعيل أسرتها المؤلّفة من أربعة أطفال، بعد استشهاد زوجها في بداية الثورة. ولكنها أجبرت على حمل صغارها والمغادرة إلى مدينة الميادين، تاركةً، في دير الزور، العمل الذي كان يعيلهم في روضةٍ ربما لم تعد موجودةً أساساً. لم تجد أم محمد في الميادين عملاً يمكن أن تقوم به سوى تنظيف أدراج البنايات، وهي مهمةٌ .في الغالب . لم تكن توكل في الميادين إلى النساء. تتحدث أم محمد عن مهنتها وظروف حياتها عموماً، فتقول: "مهنٌ كثيرةٌ بسيطةٌ اضطرت بعض النساء، بسبب أوضاعهنّ الاقتصادية، إلى العمل فيها قبل الثورة، ولكن هذه المهن اتسعت، وزاد عدد النساء اللواتي التحقن بها بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة وغياب المعيل في كثير من الحالات، إما بالوفاة أو الاعتقال. فكثرت، بشكل واضح جداً، ظاهرة الخدمة في المنازل، بالإضافة إلى نسج الليف وبيع الدخان والأقمشة والمتاجرة ببعض البضائع، ولكن على نطاق ضيق جداً. وكما يقال شرّ البلية ما يضحك، فحتى هذه المهنة، وهي تنظيف الأدراج، احتجت وقتاً طويلاً لإقناع الناس بقدرتي على القيام بها، ووجدت صعوبةً كبيرةً في الحصول على أدراج لا ينافسني عليها أحد، وخاصةً في المباني التي تتألف من مكاتب وعيادات. وما زلت أعاني من أن مردودها ضئيلٌ وغير ثابتٍ ولا يؤمّن شيئاً يذكر من احتياجات أبنائي، ولكنه يبقى أفضل من انتظار محسنٍ قد يطرق بابي".

مهنة بيع الدخان ملاذٌ لكثيرٍ من النساء

ومن المهن التي اضطرّت نساءٌ نازحاتٌ إلى مزاولتها مهنة بيع الدخان، والذي غالباً ما تعرض البائعة بالقرب منه ما تمكّنت من اقتطاعه من المعونات، لبيعه أيضاً أو استبداله بمواد أخرى. أم نديم سيدة تبيع الدخان والأقمشة بالقرب من "السوق المقبي"، تقول: "زوجي مفقودٌ منذ قرابة عام كامل. الكل يشيع أنه استشهد في مجزرةٍ القصور منذ عام. وأبيع الدخان بانتظار أن يعود ليتقاسم معي هذه التركة الثقيلة. إعالة ثلاثة أطفال، بينهم طفلٌ معاقٌ، أمرٌ ليس سهلاً في هذه الأيام. ومشكلة بيع الدخان هي المنافسة وكثرة عدد "البسطات" في كل زاوية. أما متوسط الربح فهو قرابة 500 ليرة، وهو جيدٌ مقارنة بغيره من المهن التي تتجه إليها النساء".

"الليفة التقليدية" تعود مجدداً بسبب النزوح

ومن بين المهن البسيطة التي تمارسها النساء استوقفتنا مهنة صناعة "الليف"، والتي تنسجها وتبيعها الحاجة نورة أمام أحد مراكز النزوح حيث تقيم، وحدثتنا عنها بالقول: "في السنوات الأخيرة بدأت مهنة نسج ليف الاستحمام تتراجع كثيراً لحساب أنواعٍ صناعيّةٍ بديلة، ولكن مع توافد أعدادٍ كبيرةٍ من النازحين، ظهرت الحاجة الماسّة إلى الليف التقليدية، خاصّة وأن الليف الصناعي مستوردٌ، وبالتالي ينطبق عليه ما ينطبق على الموادّ التي تجلب من خارج الميادين من الندرة وغلاء الأسعار، مما جعل العودة إلى نسج الليف أمراً يمكن أن يؤمّن للمرأة التي تجيده دخلاً معقولاً. ولهذا تجد كثيراً من النساء النازحات يعملن فيه، يشجعهنّ على ذلك توافر موادّه الخام وسهولة تعلمه، فخلال يوم أو يومين يمكن للمرأة أن تتعلم نسجه، وهذا ما قد لا يتوفّر في مهنٍ أخرى كالخياطة أو نسج الصوف، وبالتالي تدخل ميدان الإنتاج بسرعةٍ قياسية، ودون أن تحتاج إلى مالٍ كثيرٍ للبداية. أما عن هامش الربح فهو لا يتجاوز في حده الأقصى 300 ليرة عن بيع عدّة قطع، وهو مبلغٌ قليلٌ جداً، ولكن في الوقت نفسه لا توجد خسائر أو كساد للبضاعة".

وعليكِ عَيني يا دمشـقُ...

يوسف عبد الأحد

أحد ملصقات النظام الجداريّة، ضمن حملةٍ في شوارع دمشق

في العاصمة تبدو خلاصة أساليب النظام في التعامل مع الثورة، مركّزةً وصافية، في حين تظهر أجزاءٌ من هذه الأساليب هنا وهناك على الأراضي السوريّة، بحسب ظروف كلّ مدينةٍ أو بلدة. ومن هنا فإن قراءة أدائه في دمشق يمكن أن تقود إلى تحليلٍ متكاملٍ لما يفكّر فيه وما يطمح في الوصول إليه، بحسب النهاية التي يأمل.

فمن جهةٍ أولى، يجمع النظام في دمشق بين تناقضين غريبين، كالعادة، أوّلهما ادّعاء استمرار الحياة الطبيعية ضمن الخطاب الوطني الجامع لسورية الموحّدة تحت سلطته، وهو يبذل قصارى جهده ثمناً لهذا الإيهام، سواءً عبر وسائل إعلامه أو عبر تقديم كلّ شيءٍ في سبيل استمرار الخدمات وتأمين السلع ومحاربة غلائها بفعل انهيار الليرة السوريّة. وثاني هذين التناقضين أن النظام لم يستطع أن يخفي وجهه الطائفيّ، إذ لم يجد بين أبناء هذه المدينة ما يكفي من المتطوّعين لاستخدامه ضمن تشكيلات «جيش الدفاع الوطنيّ» أو «كتائب البعث»، كما جرى في بعض المدن الأخرى، فزجّ بقاعدته من العلويين، القاطنين في أحياءٍ عديدةٍ على أطراف المدينة غالباً، وببعض شيعة المدينة نفسها، في مسيرات تأييده أولاً، حين كانت وسائل النقل العامّة تتولى نقلهم من أحيائهم إلى الساحات العامّة في الأمويين والحجاز وسواها، ثم باستخدامهم في الحواجز التي صار عددها هائلاً، دون تفريقٍ جدّيٍّ بين المنتمي إلى أجهزة الأمن أو الجيش أو الشابّ المدنيّ الذي ارتدى ببساطةٍ بنطالاً عسكرياً مموّهاً وتناول بندقيّته. التي حصل عليها من النظام بطريقةٍ ما. من خزانة البيت ونزل ليشارك الحاجز مهامّه، ويدافع عن «الأرض والعرض»، بحسب أغنيةٍ شائعةٍ بين أهل الحواجز.

ومن جهةٍ أخرى، يبدي النظام أشرس أساليب قمعه للحفاظ على العاصمة من خطر محيطها الثائر، بشكلٍ تبدو معه الحواجز مجرّد مضايقةٍ سمجة. فمن المعروف أن أكبر أعداد الشهداء الذين قضوا بالإعدام الميداني كانت في ريف دمشق، كما أنه استخدم دعاوى البناء المخالف لهدم منازل وأحياء ثائرة على طرف العاصمة، وارتكب بعض أبرز مجازره على محيطها، كما في داريّا التي ما زال يجدّد حملاته للسيطرة عليها، واستخدم أساليب التجويع ومصادرة المشتريات الغذائيّة المنزليّة في جنوب دمشق والمعضّميّة والغوطة، التي ارتكب فيها خطيئة الكيماوي التي كادت أن تودي به.

وكما أباح شوارع عاصمته لأبناء طائفته، في استفزازٍ واضحٍ وصريح لأبناء المدينة، مما يعني الإعلان عن تمزّق النسيج الوطني المهلهل أصلاً، فقد أباح أريافها للمقاتلين الشيعة القادمين من لبنان «حزب الله» والعراق «لواء أبو الفضل العبّاس»، الذين أعلنوا دخولهم معارك عديدة قرب دمشق، وتتوارد الأنباء عن استعدادتهم القصوى لمعركة القلمون في ريفها، مما يحيل حديث وسائل إعلام النظام عن السيادة الوطنيّة إلى مجرّد وقاحةٍ عارية.

هكذا هي إذن، كما قال بشّار الأسد لأحد المقرّبين منه في الأشهر الأولى للثورة، عن المتظاهرين: «فليرجع هؤلاء الكلاب إلى بيوتهم، وبعدها أقوم بالإصلاحات التي أراها مناسبة». إنها معركة إخضاعٍ بكلّ الوسائل الممكنة، من قتلٍ وتدميرٍ وتجويع، ثم فليعُدِ السوريون للعيش ضمن الكذبة الكبرى عن الحكم الوطني، المستعدّ للعفو عنهم إذا صدقت توبتهم ورجعوا إلى تقديس البوط العسكري / الطائفي!

تخبرنا دمشق أن كلّ ما قيل عن نيّة النظام بالانسحاب إلى مناطق الساحل وإقامة دويلةٍ علويّة، فيما عُرف بالخطة ب، غير موجودٍ على أرض الواقع، أو أنه ما زال الخطة ب غير الموضوعة قيد التنفيذ. وأن هذيانه يصوّر له أن بإمكانه الاستمرار في حكم البلاد، التي أبدى رأس النظام مؤخراً موافقته الكريمة على الترشّح لرئاستها لدورةٍ ثالثة!

معركة دمشق هي الأهمّ، دون التقليل من حساسيّة أي جبهةٍ أخرى بالنسبة إلى منطقتها وموقعها الخاصّين. فلنتعلم من كلّ أخطائنا السابقة، ولتكن معركةً ذات أفقٍ وطنيّ، بعكس التحشيد الطائفي للنظام، ولنحافظ على بنية الدولة، بخلاف استباحة النظام لها، ولتكن معركةً دون تجاوزاتٍ أثّرت سلباً في مناطق أخرى، أو بالحدّ الأدنى الممكن.

فلنستعدّ للحسم في دمشق، ولو طال زمن الإعداد، فمنها ينهمر الصباحُ.

جامع جامع... مات

معاوية حمّاد

يخالف جامع جامع الصورة النمطيّة لرجل المخابرات في نظام الأسد، إذ لم يكن متعجرفاً وسطحياً وقليل تمييز بين الناس، ولم يشكل النهب والإثراء همّه الأول. فله اهتمامات أولى تجعل منه بحقّ شخصيةً أمنيّةً من طراز مميّز، خدمت النظام بإخلاص منقطع النظير. وليس النظام بالنسبة إليه شخص حافظ الأسد وابنه بشار فقط، بل هو الطائفة ذاتها، وخلاصها الذي تحقق في ماضٍ قريب كان جامع شاهداً عليه. والنظام أيضاً، في جانب وجدانيٍّ لجامع، هو "زاما"، القرية الجبلية الصغيرة التي ولد فيها سنة 1956.

أدرك جامع في وقتٍ مبكّر أن "الضيعة. الطائفة. النظام" مفاهيم أكبر من أسمائها لأنها وجود، وانتقاص واحدٍ منها خطرٌ كبيرٌ على هذا الوجود. وانعكس هذا الإدراك بالولاء المطلق والدائم لقدّيس الطائفة الأول ومخلّصها من سنوات التيه، حافظ الأسد.

قليلٌ من السيرة

كم كانت جميلة سنة 1974 بالنسبة لجامع، عندما دخل الكليّة الحربية؟ طموحٌ شرعيٌّ لشابٍّ مجدٍّ بالصعود، وهو شيءٌ ممكنٌ جداً في ظلّ حافظ الأسد لأي علويٍّ مؤهل، بشرط عدم ارتكاب الحماقات. ولم يفعل جامع إلا هذا، وزاد فوقه رغبةً لم تتحقق بالتفوق على أقرانه في اختصاص مدفعية الميدان، ولكن هذا التلكؤ الصغير لم يؤثر على ثقة الضابط بنفسه أو التزامه بحياته العسكرية، وحتى انتقاله إلى المخابرات. أيام مجدٍ بلا شك للضابط الشاب الذي سمى ابنه الأول "أمجد"، في استشرافٍ لمستقبلٍ مشرق. فأنجح الرجال في وجدان الطائفة العلوية هم الضباط، وصفوة الضباط هم ضباط المخابرات. وانتقل النقيب جامع من الفوج 127 مدفعية في رنكوس إلى جهاز الأمن والاستطلاع بلبنان، برعايةٍ وتزكيةٍ من غازي كنعان، الضابط الأشهر في هذا الجهاز.

ومن وظيفته الجديدة في قيادة مفرزة "دارة. عالية"، إلى الضاحية الجنوبية، إلى قيادة مخابرات بيروت في البوريفاج؛ صعد نجم جامع وزادت خبرته وترقّت رتبه، حتى اغتيال رفيق الحريري وطرد الجيش السوري من لبنان. ولم يلبث جامع سنواتٍ قليلة حتى أرسل إلى دير الزور، تلك المحافظة النائية والمهمّة في آن واحد.

سوء الختام

كانت سنة 2008، سنةً غريبةً للديريّين، من زاوية سلوك رئيس فرع الأمن العسكري الجديد العميد جامع، القاتل والسفاح والمتوحش، كما تقول جماعة من الناس، العادل والقوي والشريف والقادر وحده على مكافحة الفساد، كما تقول جماعة أخرى.

والواقع أن الرجل استطاع، وخلال أشهرٍ قليلة، أن يكون الحاكم الأول في دير الزور والمنطقة الشرقية. ولكن هذا شيءٌ سهلٌ بالنسبة لأيّ رئيس فرع مخابراتٍ له شأنٌ في إدارة شعبته بدمشق، فعليه فقط أن يسيّر الدوريات بسياراتٍ مكشوفةٍ تحمل رشاشات PKC، وعليه أن يستثمر تقارير المخبرين، المزروعين في كل مكانٍ من مؤسسات الدولة، باعتقالاتٍ وتحقيقاتٍ مع أيٍّ من الموظفين، من دائرة التنظيفات في البلدية إلى قصر المحافظ ذاته، وعليه أن لا يكون تافهاً ويقبل بالرشاوي الصغيرة ليتجاسر على بابه كل من هبّ ودبّ من سماسرة، وعليه كذلك أن يكون حاضراً وقريباً قريباً مباشراً من أي إشكالٍ في ولايته، وأن يفتح بابه أيضاً لشكاوى المظلومين من صغار رعاياه، في دعاوى لا يكلف فضّها شيئاً سوى التلويح من بعيدٍ باسمه الرهيب، ليتحول المشتكي بذلك إلى داعيةٍ يسعى في الأرض يروّج لعدالة جامع، وتتراكم الأخبار والشائعات عنه إلى حدّ الخرافة.

أصبح جامع أسطورةً تثقل كاهل الناس، ولا يمكن التخفّف منها إلا بتصديق ما لا يمكن تصديقه في سوريّة الأسد؛ أن يكون ضابط الأمن رجلاً صالحاً! ولكن من يعذّب البشر في أقبية البرد والظلام والخوف لا يمكن أن يكون بشرياً مثلهم. فهذا الوحش، المتزيّن باللطف والكياسة والتفهم، هو في الجوهر فجٌّ وغليظٌ وسيء المعشر، مثل أيّ وحشٍ آخر.

ومع اندلاع الثورة تحوّل جامع الأسطورة إلى جامع العدوّ المباشر، ليهتف الناس في المظاهرات طلباً برأسه، وليبذل من طرفه كل جهدٍ ممكن. فعقائده حول النظام والطائفة والإخلاص لهما لم تتزحزح، بل تُرجمت بأشنع الأعمال وأكثرها قسوةً ووحشيّةً بحقّ المتظاهرين، وترجمت أيضاً بعملٍ متواصلٍ لثلاث سنواتٍ تقريباً، لم ينقطع بإجازةٍ قصيرةٍ لزيارة أسرته في مساكن القطيفة العسكرية بريف دمشق.

ونجح جامع، بدهائه ومعرفته العميقة بالسكان، في أن يحيّد البعض ويجنّد البعض الآخر. وكان مصدر دفعٍ معنويٍّ لجنوده من عسكر ومتطوعي الأمن والشبّيحة. فبجسارته تمكّن جامع من الصمود، إلا أن هذه الجسارة ذاتها قادته إلى حتفه، حين أراد أن يرفع من معنويات جنوده المتقهقرين في معارك الرشدية لتتلقاه المنية هناك، بنيران الثوار أو بشظايا قذائفهم لا فرق، فحرب دير الزور مع قوات الأسد بعد جامع لن تشبه ما قبلها.

كتابٌ في الخوف
الصحافة السوريّة في عهد الأسد

محمد عثمان

حكم البابا صحافيٌّ سوريٌّ مشاكس. وقبل أن ينحاز بشكلٍ صريح إلى الثورة منذ أيامها الأولى، ويشغل فيها موقعاً مشاكساً آخر لا يرضي الكثيرين؛ عمل لسنواتٍ طويلةٍ في الصحافة السورية، وسجّل تجربته في هذا الكتاب، الذي صدرت طبعته الثالثة عن دار «الغاوون» ببيروت، عام 2012.

إنه كتابٌ لا عن خوفٍ واحدٍ، بل عن مخاوف كثيرةٍ كما يقول: فهناك الخوف الذي انتابني أثناء كتابة المقال، والخوف الذي شعرت به يوم نشر المقال وانتظار ردّة فعل السلطة، والخوف يوم وصول الاستدعاء لمراجعة المخابرات من أجل المقال، والخوف خلال وجودي داخل بناء المخابرات وخضوعي للتحقيق مع الهواجس المختلفة التي يستدعيها، ثم الخوف الذي تولّده التجربة وتتركه في النفس بعد انتهائها، ومدى تأثيره في المباشرة بكتابة مقالٍ جديد، أو الصمت والانتظار حتى تنتهي آثار تلك التجربة.

ويتألف الكتاب من مجموعةٍ من المقالات التي نشرت في أماكن مختلفة، ولكن يجمع بينها البحث عن حريّة الصحافة في ظلّ نظام القمع، حين تحوّلت إلى مهنةٍ ذليلةٍ وتابعةٍ تشوّه الحقائق، وتقلب المفاهيم، وتمسح البلاط، بعد أن أُلغي ازدهار الصحف الذي عرفته سورية الديمقراطية قبل استيلاء حزب البعث على السلطة، وصارت للبلاد جريدةٌ واحدةٌ بأسماءٍ ثلاثة (تشرين، الثورة، البعث)، وخاصّة بعد تصريح أحمد إسكندر أحمد، وزير الإعلام الشهير، بأنه يريد الإعلام السوري كله مثل فرقة سيمفونيّة، يقودها مايسترو هو الوزير نفسه، وكل عازفيها ينظرون إلى «العصا» التي يحملها، ويهتدون بما تمليه! مما أسهم في تهميش من تبقّى من الصحافيين المحترفين والمحترمين الموروثين عن العهود السابقة، ليملأ مكانهم موظّفون عقائديّون انتشروا بشكلٍ سرطانيٍّ، وأسندت إليهم رئاسة التحرير والإدارات، وفق الولاء والمحسوبيّات، فكان كلّ همّهم أن يكونوا أمناء لأجهزة الأمن التي جاءت بهم أصلاً.

وكان من نتائج ذلك هذه المطبوعات الثلاث الرثة التي عرفها السوريون وعافتها أنفسهم، فصارت أرقام توزيعها تتناقص بشكلٍ مخجل، وأرقام مرتجعاتها ترتفع، في حين نفدت عشرون ألف نسخةٍ من جريدة «الدومري» المستقلّة والساخرة، خلال ساعاتٍ قليلة، ثم تلتها الطبعة الثانية بنفس السرعة. وهو ما حرّض. ولا شكّ. محنّطي الإعلام السوري للكيد للجريدة حتى تمكّنوا من منع توزيعها وسحب ترخيصها، الذي كان الفنان علي فرزات قد استطاع الحصول عليه من بشار الأسد نفسه، أيام كان يعِد بالانفتاح والإصلاحات.

هؤلاء أنفسهم؛ وزير الإعلام ونقيب الصحافيين المزمن صابر فلحوط وجوقتهم، هم من تباكى على حريّة الإعلام، وأدان بأشدّ العبارات قرار فرنسا بوقف بثّ قناة «المنار» اللبنانيّة على أراضيها عام 2004، دون أن يرفّ لهم جفنٌ من حياءٍ وهم يعرفون بالتفصيل المملّ القوائم السوداء لكتاب سوريين ممنوعين من الظهور على شاشة تلفزيون بلدهم، الذي يعشّش الفساد وعدم الكفاءة في كلّ مفاصله، حتى هجره المشاهد ما أن أنعم الله عليه باختراع الستالايات وإمكان التقاط بثّ قنوات العالم، فيما ظلّ هذا التلفزيون على حاله من الكآبة والإملال.

يتنقّل حكم البابا بين موضوعات كتابه المريرة بسخريةٍ وخفّةٍ لافتتين، مما يخفّف قليلاً من وطأة المشهد، ويضيف كثيراً إلى متعة القارئ، عبر التقاطاتٍ ذكيّةٍ وتعبيراتٍ مبتكرة وأمثلةٍ صارخة الدلالة يأتي بها المؤلف من كواليس الإعلام السوري التي يعرفها جيداً.

واليوم، وبعد أن تورّط هذا الإعلام في التحريض على سفك الدم والعقاب الجماعيّ، والتستّر على أعمال قتلٍ وتبريرها؛ لم تعد قضيتنا معه مجرّد مساءلةٍ عن الحريّات ومحاسبةٍ على الفساد، بل صار مخطّطو سياساته والمسؤولون عنه شركاء في جرائم موصوفةٍ كثيرة، ولا بدّ أن يطالهم العقاب القانونيّ، كما سيطال مرتكبي هذه الجرائم.

جميل أو لا جميل.. تلك هي المهزلة

يفشل قدري جميل في كلّ مرةٍ يودّ أن يلفت انتباه الجماهير وينال رضاها كمعارض حقيقي. فالجماهير، التي شبعت من طريقته المكشوفة بالتمثيل والتملق، لم ينطل عليها. لسوء حظ قدري. اصطناع الصدفة لإثبات معارضته للنظام. هل يعقل مثلاً أن يخرج الرجل على شاشة روسيا اليوم في نفس اللحظة التي يصدر فيها قرار إعفائه من الخدمة لأنه تجاوز مهام بعثته إلى روسيا؟ فيقدّم جميل، التقدمي بلكنة رجعية، وكأنه متأثر بعكيد مسلسل باب الحارة، إجابةً جاهزةً قائلاً للمذيعة: "معلوماتك طازجة جداً، ولا أعرف مدى صحّتها. لكنني قلت مراراً إن خروجنا من الحكومة أسهل من دخولنا فيها بكثير". ثم يعرّج على تاريخه المشرّف المليء بصفحات النضال ضد النظام الذي دبّر له هذه الطبخة تمهيداً لإرساله إلى جنيف2، والتوصل إلى حلٍ سياسيٍّ، لن يرضى إلا الأسد، لوضع حدٍ للمأساة السورية. وقال جميل في نهاية خطابه المتكلّف بأنه لن يطيل إقامته خارج البلاد، فهو عائدٌ إليها مطوقاً بحماية "شعبه" له. الشعب الذي كان يعرف أن قدري من كبار المخبرين قبل الثورة، والذي لعن كل أشكال "المعارضة" المصنّعة في كواليس الأسد، والذي لم تتسنّ له الفرصة باختيار جميل كمفاوض للسلام في جنيف، والذي يزدريّ، بأي حالٍ، كلّ مؤتمرٍ من شأنه أن يطيل عمر النظام المتهالك.

شحادة يهرب إلى بلجيكا ويعود

في إطلالة تلفزيونيّة من بروكسل، أعلن المعلّق التلفزيوني الموالي لنظام الأسد، شريف شحادة، أنه غادر دمشق إلى بلجيكا خوفاً على حياته وحياة عائلته بعد محاولاتٍ عدّة لقتله، كانت آخرها محاولةٌ أودت بحياة مرافقه. وتساءل شحادة "أليس عيباً أن يتقاتل السوريون؟!"... وأضاف بأن الدنيا ضاقت به، كما ضاقت بجميع السوريين، مما يحصل. ولم تتكشّف تفاصيل إضافية تفسّر هروب عضو مجلس الشعب، والمدافع الشرس عن نظام الأسد، وشقيق ضابط الاستخبارات الشهير رفيق شحادة. ولكن هروب هذا الرجل، الذي قال يوماً "إن النظام سيسقط فقط عندما تشرق الشمس من الغرب وتغرب من الشرق"؛ يشير بوضوح إلى انهيارٍ في الروح المعنوية لأعدادٍ كبيرةٍ من شبّيحة النظام وبمختلف مستوياتهم وأدوارهم. وتناولت صفحات الشبّيحة خبر هروب شحادة بشيءٍ من الصدمة والاستغراب، واتهمته بالخيانة والفساد والتآمر على النظام. ففي تعليقها على هروب شحادة كتبت صفحة "القرداحة عرين الاسد": عضو مجلس شعب يغادر بلده لهكذا سبب يعطي انطباعاً سيئاً عن قدرة الدولة على ضبط الأمن من جهة.. من جهة ثانية الشعب اختارك كي تمثله وتنقل همومه في دمشق لا في بروكسل ! هنيئاً لك بدولارات الجزيرة من إطلالاتك الفارغة التي أصبحت فيها ثرياً قادراً على العيش في بروكسل.. ولم يلبث شحادة مدّةً وجيزةً حتى عاد الى دمشق، بعد أن رفضت السلطات البلجيكية طلبه اللجوء السياسيّ....

سوريٌ شاب يُشعل النار بنفسه في روما

محمد البوعزيزي

وقف الفتى بين جمع من السيّاح وسكب على نفسه زجاجةً تحتوي على سائلٍ مشتعلٍ، ثم أشعل في نفسه النار بالقرب من الكولوسيوم، المدرج الروماني الشهير في قلب مدينة روما القديمة. حالته خطيرة جداً، الشاب السوري ب. س، 24 عاماً، يحمل جواز سفر سويدياً. نقل بسيارة الإسعاف إلى قسم الإصابات البالغة جرّاء الحرائق في مستشفى سان يوجينيو، الشاب مصابٌ بحروق من الدرجة الثالثة في الصدر، وهو الآن في قسم العناية المشدّدة.

وقعت محاولة الانتحار حوالي الساعة الثالثة وعشرين دقيقة من ظهر يوم الخميس، في شارع معبد السلام في وسط العاصمة الإيطالية، أمام المئات من السائحين الذين أصيبوا بحالة فزع وهلع. تدخلت الشرطة وطلبت سيّارة الإسعاف بعد أن بات الشاب في ظروف سيئة. ويتم التحقيق حالياً لمحاولة معرفة أسباب هذا المشهد التراجيدي.

المصدر صحيفة كوريري ديلا سيرا الايطالية

هل تعرفون سمير أمين؟

السؤال غير موجّهٍ إلى اليساريين بقبائلهم المختلفة، من معجبين وناقدين للتجربة السوفييتية، ومن مجدّدين ومحافظين ومتعاطفين، فإجابة هؤلاء غير مهمّة، لأن من عرفه منهم سيجعل من أستاذ الاقتصاد هذا منظّراً اقتصادياً كبيراً يتصدّى، منذ نعومة أظفاره في الحزب الشيوعي الفرنسي، للامبريالية العالمية، ويتابع بعد ذلك بحوثه الرساليّة لكشف العلاقات العميقة لدورة الاقتصاد الليبرالي الجديد.

وفي الحقيقة، لا يهمّ - بالنسبة إلى السوريين - أن تكون سياسيات الاقتصاد الحرّ مدمّرة، فبشار الأسد دمّر الحياة ذاتها. ولا يهمّهم كذلك تأييد هذا الأكاديمي المصري الطاعن في السنّ لانقلاب السيسي، أو اعتباره الإخوان المسلمين جزءاً عضوياً من نظام مبارك؛ فما يعني السوريين - أو بعضاً ممن اطّلع على لقاء أمين في جريدة الوطن المصرية - هو معرفة السبب وراء وقوف هذا الرجل ضد الثورة السورية؟! رغم نصحه لبشار الأسد في ذات اللقاء أن يقوم بإصلاحاتٍ، يعلم أمين أن بشار ينصح نفسه بها في كلّ خطاب! ترى كيف توصل الرجل إلى أن الثورة السورية هي مجرّد مؤامرةٍ بقيادة الولايات المتحدة؟ وهل يكفي الخرف الذي تسرب إلى رأس الرجل، الذي اقترب من التسعين عاماً، أن يكون مفسراً؟ وهل الخرف أيضاً ما قاد محمد حسنين هيكل وأدونيس وسعدي يوسف ليأخذوا الموقف العدائي ذاته من ثورة الشعب السوري المظلوم، أم أن الحماقة والجنون تضاف أيضاً، أم يضاف النفاق كذلك في كلّ دعاوى هؤلاء أنهم ينتمون إلى العالم المتحضّر؟

الخامنئي على فراش الموت

منذ أكثر من عشرين يوماً لم يرَ أحدٌ المرشد الإيراني علي الخامنئي. فظهوره الأخير كان يوم 9 تشرين الأول، حين استقبل وفداً شبابياً، ليختفي بعد ذلك دون أن يظهر في أية مناسبة، بما فيها عيد الغدير المقدّس عند الشيعة. وتواترت أنباءٌ من مصادر عدّة تتحدّث عن تدهور صحة المرشد، الذي يبلغ من العمر 74 عاماً. ولم يلتزم بعض وكلاء المرشد بالتعليمات الصادرة من مكتبه بالتكتم على هذا الخبر، حين بكى بعضهم حين سئل عن صحّة آية الله. ويذكر أن الخامنئي كان رجل دين قليل الشأن ينتمي إلى الصفوف الخلفية لمريدي الخميني، وقد أتاحت له إطاحة الأخير برجاله من الصف الأول الفرصة لأن يتقدم ويغدو، بعيد رحيل الخميني، ووفق تفاهمات مراكز التأثير، خليفةً له، أي أن يكون المرشد الأعلى في إيران. واليوم أثار تردّي حالته الصحية التساؤلات عن المرشد القادم، والذي ترجّح التحليلات أنه سيعيّن بتفاهم قادة كلٍّ من الحرس الثوري والحوزة المركزية في قم ورجالات النفوذ الآخرين.

وترجّح هذه التحليلات أيضاً أن خليفة الخامنئي سيكون ضعيفاً جداً وغير مؤثرٍ، مع صعود قوى جديدةٍ مسرح الحياة السياسية.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

من دير الزور: وتستمرُّ الحياة!

عدسة أحمد | خاص عين المدينة